مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (39) العدد (4)2017
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (39) No. (4) 2017

سورية بين المؤامرة ونظرية المؤامرة

د. هلا علي*

(تاريخ الإيداع 29 / 5 / 2017. قبل للنشر في 31 / 7 / 2017)

ملخّص

يحاول هذا البحث الاجابة عن عدة اسئلة اولها واهمها: ما الذي تعنيه نظرية المؤامرة؟ وهل هناك فرق بين المؤامرة ونظرية المؤامرة؟ وهل ولدت نظرية المؤامرة مع "الربيع العربي" و"الفوضى الخلاقة" أم أنها سبقت كل ذلك؟ ثم ما هو الدور الذي لعبته نظرية المؤامرة في الحرب السورية؟ هل الايمان بنظرية المؤامرة هو اعتراف ضمني بالهزيمة المعنوية؟ هل كانت الحرب على سورية نتيجة مؤامرة خارجية فعلا قامت بها الدول العظمى صاحبة المصلحة الكبرى في تدمير الداخل السوري وانهاء سورية كعنصر هام من عناصر المشروع المقاوم أم أن ما حصل كان نتيجة عوامل داخلية؟ يحاول البحث أن يجيب عن السؤال: ماهي الثغرات التي يمكن أن تدخل منها المؤامرة الى بعض المجتمعات دون غيرها؟ وفيما اذا كانت هذه الثغرات تنطبق على جميع الدول التي انتشرت فيها المؤامرة، وهل هناك ثغرات خاصة بالمجتمع السوري سهلت المؤامرة؟

الكلمات المفتاحية: المؤامرة، أوراسيا، النقط العمياء، الربيع العربي.

* مدرس – كلية الآداب – جامعة تشرين – اللاذقية – سورية.

مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (39) العدد (4)2017
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (39) No. (4) 2017

Syria between Conspiracy and Conspiracy theory

Dr. Hala Ali*

(Received 29 / 5 / 2017. Accepted 31 / 7 / 2017)

□ ABSTRACT □

This study tries to afford answers to a number of questions that arose concerning the causes and the consequences of the war. What is conspiracy theory? Is there a conspiracy on Syria? Where were the origins of conspiracy theory laid? What was the role that conspiracy played in the war on Syria?

Could the war on Syria really be just a result of the conspiracy or were there additional eternal causes?

The study concludes that:1. War on Syria was an inevitability that most, if not all, societies will arrive to.2. Creating " Conspiracy theory" in Syria, is a Conspiracy itself. 3. Believing in Conspiracy is a significant goal of conspiracy itself. 4. Supporting a Conspiracy theory in Syria serves the great powers that invented the theory. 5. There is no metaphysical roots of Conspiracy but historical causes founded in the social and economic relations. 6. Regional and international powers put a further nail in the coffin of conspiracy on Syria.

Key words: Conspiracy, blind spots, Eurasia, Arab spring.

***Assistant prof., Department of Philosophy, Faculty of Arts and Humanities, Tishreen University, Lattakia, Syria**

مقدمة:

منذ اندلاع أحداث أيلول سبتمبر 2001 التي ضربت الولايات المتحدة الامريكية، سيطر هوس الإرهاب، وبدأت الدعوة لمواجهته، والتحذير من أخطاره، على وسائل الإعلام. وانتقلت هذي العدوى إلى مؤسسات الإعلام العربية ولم تمض مدة حتى أصبح تعبير المؤامرة هو الرديف الإعلامي لمصطلح «الإرهاب»، ويرى الراوي العربي ويصمم أن من يحيك المؤامرة هو الدوائر الحاكمة في واشنطن، وأحيانا أخرى، نظام تل أبيب الصهيوني.

بروز منظمات الإسلام السياسي، من أمثال «داعش»، و«جبهة النصرة»، وغيرها ساهم في انتشار استخدام تعبير المؤامرة ونظرية المؤامرة ووضع بين أيدي مروجي هذه المفاهيم مادة دسمة، وسهل أمامهم طريق التوسع .

ولم يعد المنادون بالأخذ بنظرية التآمر على البلدان العربية، مضطرون إلى بذل جهود تذكر، كي يلملموا مجموعة متناثرة من القصص والروايات، ويضعوها في سياق يبدو منطقيا، ويمكنهم من ترسيخ صورة هذه النظرية في أذهان المواطن العربي، وعلى وجه الخصوص، الفئة الشبابية، التي يجير المروجون لتلك النظرية عدم إلمام ذلك الجيل الشبابي بالخلفيات التي ساهمت في رسم معالم ظروف أمته، وتطورها التاريخي المعاصر.

أهمية البحث وأهدافه:

تنطلق أهمية هذا البحث من ضرورة التمييز بين نظرية المؤامرة التي برز استخدامها كمفهوم يفسر كل ما يحدث في الآونة الأخيرة، سيما أحداث الربيع العربي، من جهة، وبين المؤامرة كعملية تاريخية سياسية اجتماعية اقتصادية متكاملة من جهة أخرى. ففي ضوء الخلط الكبير الذي شهدته الاحداث مؤخرا بين المقولتين، اختلط على كثيرين من بينهم المثقفين، وهذا هو الأخطر، بين الميتافيزيقي والتاريخي وبين السياسي والمعرفي وبين الايديولوجي والعلمي. لذا وجب أن نضع تحديدا لكل منهما بالإضافة الى محاولة تقديم ما يفسر ما يحدث في سورية تحديدا وفيما اذا كان بالإمكان رده الى مؤامرة خارجية أو الى عوامل داخلية.

منهجية البحث:

يتبع البحث المنهج النقدي التاريخي الذي يقوم بدراسة الظروف والملابسات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية والفكرية التي أنتجت مفهومي المؤامرة ونظرية المؤامرة ويبحث في دورهما في الحرب على سورية وكيف ساهمت تلك الاوضاع والظروف في نشوء وتشكل المؤامرة حتى وصلت الى الصورة التي بين أيدينا اليوم.

نحو تحديد المفهوم

المؤامرة ونظرية المؤامرة

يخلط كثيرون ومن بينهم مثقفون بين المؤامرة كفعل بشري وبين نظرية المؤامرة كمكوّن خفي يلفّه الغموض والإبهام. والحقيقة لا يجوز الخلط بينهما. فالمؤامرة شيء ونظرية المؤامرة شيء آخر، لهذا نجد أننا مضطرون لنعرف كل منهما ونوضح الفرق بينهما ومدى الخلط الذي يحدث، وانعكاس ذلك على العقل العربي وعلى الوعي والمجتمع والسياسة.

لغويا، أصل التآمر والائتمار في اللغة هو التشاور بين اثنين أو أكثر لفعل أمر ما أو لتجنب فعل ما لأن المتشاورين يأخذ بعضهم أمر بعض فيأتمر به الجميع.

والمؤامرة قانونيا هي اتفاق بين شخصين أو أكثر للقيام بعمل ما ضد القانون وقد يكون هذا العمل ضد أشخاص عاديين أو اعتباريين (مؤسسات أو هيئات). وفي القانون يعد التآمر جريمة كما يعد كل شخص متورط في المؤامرة مسؤولا قانونا عن النتائج سواء أكانت مقصودة أم لا. ويعاقب المتآمر إما بالغرامة أو بالسجن، وفي بعض البلدان تكون العقوبة الاعدام في حال حدوث خسائر في الارواح. [1] والمؤامرة في تعريف آخر هي عدم تفسير الأمور حسب المعطيات الواقعية والمنطقية المتوفرة أو المستنتجة وانما تفسيرها على اساس انها من فعل شخص أو جهة منافسة تبقى دائما محصورة بفكرة يحملها معه في كل وقت.[2]

والمؤامرة نزوع شعبي أو سلطوي إلى اعتبار وتفسير حدث أو سلسلة من الأحداث السياسية والاجتماعية والتاريخية، الماضية أو الراهنة، ذات الصلة بالرأي العام على أنها أسرار لا يظهر منها على السطح غير أجزاء بسيطة، وتكون تلك الأسرار من فعل وتخطيط وتنظيم جماعة أو حكومة أو قوى أو عصبة تسعى من خلالها إلى تحقيق هدف أو سلسلة من الأهداف المضادة تخدم مصلحتها.[3]

"هي الاعتقاد بأن الأحداث التاريخية أو الحالية هي نتيجة تدبير قوى خفية أو مؤامرات. ومن ثم فهي ادعاء بحصول عمل (أو مخطط) سري اعتمادا على دليل ركيك أو غير متين. لذلك فهي تعبير يستخدم في اللغة (السياسية أو الفكرية) الدارجة للسخرية والدلالة على أن ادعاء المتكلم خاطئ أو بعيد الاحتمال أو لا دليل عليه"[4]

وهنا وجب التمييز بين المؤامرة وبين نظرية المؤامرة. فالتحديد اللغوي للمؤامرة يساعد في تمييزها عن النظرية.

المؤامرة هي كل عمل او نشاط يقوم به شخص او غالبا مجموعة من الاشخاص لتغيير حالة او لإلحاق الضرر بشخص او جماعة او دولة، و"سميت مؤامرة لأنها تقوم على السرية غالبا لأجل تضليل الضحية وجعله لا يفهم ما يجري حوله لأجل ضمان تصفيته، او اذا انتبه وفهم يضلل بأكثر من طريقة لإبقائه غافلا عما يعد له."[5]

أما نظرية المؤامرة فهي تعتمد الاقرار بقوى خارقة لا يمكن قهرها سواء كانت عصابة بشرية متفوقة او مخلوقات غريبة، أو قوة خارجية لا تنتمي الى الحيز الذي يمكن للبشر أن يقاوموه أو يواجهوه.

جذور نظرية المؤامرة

بصرف النظر المؤقت والاجرائي عن الاراء المتعددة التي لا تؤمن بوجود مؤامرة لا كنظرية ولا كممارسة، الا أننا لا يمكن أن ننكر أن مشيخة صهيون أو حكماء صهيون، الذين قد يكون لهم وجود تاريخي صحيح أو قد يكونون جميعا من خلق التصور والخيال، ولكن الحقيقة الموجودة التي لاشك فيها أن النفوذ الذي يحاولونه ويصلون اليه قائم ملموس الوقائع والآثار.[6]

أما بالنسبة لجذور النظرية، انها تعود إلى أصول غربية تماماً، وهو مترجم حرفياً من(conspiracy theory) الذي استخدم للمرة الأولى أوائل القرن العشرين، ولكن لم يتشكل معناه بالشكل المستخدم الازدرائي إلا في ستينيات القرن العشرين، ودخل في أواخر التسعينيات في قاموس أوكسفورد، ليتأصل ويتعقد بهذا الشكل. جذب المصطلح والمفهوم

[1] الموسوعة العربية العالمية. 30 مج- ط2- الرياض: المؤسسة، 1999- 22-29
[2] النملة، علي ابراهيم، هاجس المؤامرة بين التهوين والتهويل، مكتبة الملك فهد، الرياض، طبعة أولى، 2009،ص 42
[3] عباس، بشار، تأمل في نظرية المؤامرة، معابر للنشر، راجع الرابط:
http://www.maaber.org/issue_december15/spotlights2.htm
[4] النملة، المرجع نفسه، ص 42
[5] صلاح مختار المؤامرة ونظرية المؤامرة وخطورة الخلط بينهما:
http://nashwannews.com/articles.php?action=view&id=8956
[6] نويهض، عجاج. بروتوكولات حكماء صهيون، مجلد أول و مجلد ثاني، دار طلاس، دمشق، سوريا، طبعة تاسعة، 2005

مفكرين مهمين من مختلف التيارات، قدموا إضافاتٍ مهمةً لفهم الظاهرة: مثل كارل بوبر، نعوم تشومسكي، دانييل بابيس، وغيرهم.

المؤامرة أرضية تاريخية بينما نظرية المؤامرة نظرية ذات أسس ميتافيزيقية. المؤامرة فعل بشري وهو بسبب بشريته قديم قدم صراعات البشر واتخذ اشكالا مختلفة ومارسه الانسان الأول القديم حتى قبل أن يكتشف اللغة. والمتابع للأبحاث الأنثروبولوجيّ يرى الحضور اللافت والقوي للمؤامرة في حياة الانسان القديم في عصور ماقبل التاريخ. ومع تطور المجتمعات تطورت اساليب المؤامرة وأدواتها. وجوهرها بقي واحدا. وقد مارست المؤامرة سلطات عديدة على مر التاريخ سواء اكانت هذه السلطات سياسية او اجتماعية او دينية او اقتصادية. وهل كان رجال الدين الاوروبيون في العصور الوسطى أكثر من متآمرين على حرية الانسان وكرامته وعقله؟ هذا بالتحالف مع الاقطاع طبعا.

وهناك حالات تلتقي عندها نظرية المؤامرة بالمؤامرة مثل حالة الكنيسة الاوروبية في العصر الوسيط. فقد كانت مؤامرتهم متعددة الابعاد سياسية واجتماعية واقتصادية واجتماعية وبالوقت نفسه مرتبطة بقوى خارجية. فقد سلبوا الانسان أرضه ونتاج أرضه واجبروه على الخضوع اجتماعيا لسلطة الكنيسة المتحالفة مع النبلاء والاقطاعيين والملاك وعدم خضوعه يعني أنه سيكون منبوذا مستبعدا. اضافة الى ذلك البعد الارضي التاريخي للمؤامرة فان رجال الكنيسة ربطوا مصير الانسان بقوى خارقة ومفارقة للوجود الارضي بحيث يلف الغموض مصير هذا المسكين. وما عليه الا أن يهدر ويكرس يومه وحياته وعمله وقوة عمله لاهثا لتجنب غضب قوى لا هو يعلم عنها شيئا ولا هو بقادر على مواجهتها ومحاربتها لانها بكل بساطة لا متعينة واقوى بكثير، كما اقنعوه، من قدراته المتواضعة على المبادرة.
واستكمالا للمؤامرة ترك رجال الدين لهذ المسكين منفذا واحدا وحيدا وهو أن يلجأ الى الكنيسة والكهنة كوساطة بينه وبين ذاك العالم المفارق الغامض الملتبس، الى الحد الذي بات فيه الفقير يشتري له مقعدا في الجنة عبر صكوك الفغران، التجسيد الأشد وضوحا للمؤامرة باستخدام نظرية المؤامرة في تاريخ أوروبا. فكانت مؤامرة وسيلتها نظرية المؤامرة. ؟ هل تبقى شيء من مصادرة العقل لم يفعلوه؟ هكذا كانت الكنيسة تنفذ مؤامرتها، وتلك هي المؤامرة بعينها، "انها حالة واقعية ومألوفة في التاريخ، وهي من ثمرات المجتمع البشري المنقسم والمفتقر للعدالة بشقيها القانوني والاجتماعي."[7]

وفي العصور الحديثة ومابعد الحديثة تبلورت المؤامرة على نحو أدق وبصور متعددة ولم يمنع شيء من استخدام دنيء لنظرية المؤامرة لخدمة المؤامرة بحيث يكون الميتافيزيقي في خدمة التاريخي. وما يشهده العالم اليوم من جنون قام في كثير من الاحيان على نظرية المؤامرة التي يجب الا نعول على تصديقها والتركيز عليها كثيرا بقدر ما نحن مطالبون بالتركيز على المؤامرة والتي من خلالها سقطت انظمة وتدمرت دول وسالت دماء. لذلك سنرى أن نظرية المؤامرة بحد ذاتها مؤامرة.

فالإقرار اذن بوجود مؤامرة مقبول. والمرفوض وغير المنطقي هو ما يسمى بنظرية المؤامرة. فالمؤامرة التاريخية، كحالة محددة تاريخية ومعروفة بأسبابها وعواملها موجودة، اما نظرية المؤامرة التي تستند الى الغامض والمفارق واللا تاريخي فهي مرفوضة وهي بعينها المؤامرة الكبرى على العقل.

---

[7] **صلاح مختار المؤامرة ونظرية المؤامرة وخطورة الخلط بينهما، راجع الرابط: http://nashwannews.com/articles.php?action=view&id=8956**

ولذلك ففي حين أن نظرية المؤامرة تستند الى قوى مفارقة غامضة ملتبسة، فان المؤامرة هي عمل بشري وليس له صلة بقوى خارقة لا يمكن قهرها سواء كانت عصابة بشرية متفوقة غامضة تحيط بها وبوجودها اشارات الاستفهام او مخلوقات غريبة أو منظمات فوق اقليمية وفوق قومية وفوق دولية.[8]

المؤامرة السياسية

على المستوى السياسي فان المؤامرة تقترن غالبا بإسقاط انظمة أو على الأقل محاولة اسقاطها وذلك بخطط سرية، او احتلال اراضي دول اخرى او احتلال دول بكاملها، كما حصل في تونس ومصر وليبيا ضمن احداث ما سمي بالربيع العربي وكما حدث في سورية لكنه لم يكتمل كما أرادوه. وهذا ما حدث ان عدنا الى الوراء قليلا الى العراق الذي أسقط نظامه ودمر تدميرا مروعا عام 2003، او احتلال فلسطين بعد قرار المؤتمر الصهيوني الاول باعتبارها وطنا قوميا لليهود فوضعت خطة طويلة المدى تصل لأكثر من مائة عام لتنفيذها على مراحل متعاقبة. اما النخب الرأسمالية خصوصا الامريكية فإنها الاكثر تأمرا على الدول والبشر ولذلك فإنها تضع خططا لنصف قرن لأجل تحقيق السيطرة على موارد الكرة الارضية كلها.[9]

ماهي دواعي المؤامرة؟ دواعي المؤامرة تفسير الاحداث السياسية بالبحث عن عدو غالبا. فعندما نفسر، لا بد من وجود عدو متربص واذا لم يوجد فلابد من خلقه وصنعه وهذا ما يقودنا للقول أن مفهوم المؤامرة قد لايكون نتاج تخطيط بقدر ما هو نتاج فشل التخطيط و الفشل في النظرة بعيدة المدى. وهذا ما ينقلنا من المؤامرة الى نظرية المؤامرة.[10]

فالشيوعية مثلا صنعت من قبل الغرب وعلى يدهم كعدو للإنسانية ومن ثم انضمت اليها النازية والفاشية. ثم استمر خلق العدو كلما اقتضت الحاجة الى ابراز نظرية المؤامرة واستخدامها بشكل أو بآخر.

المثقف والمؤامرة

ان اقرار المثقف العربي بنظرية المؤامرة يعني أمرا واحدا أنه استسلم للأمر الخارجي وسلم بوجود عوامل خارجة عن ارادته وبالتالي تنازل أو بالأحرى تخلى وتقاعس عن دوره في حل أزمات المجتمع ومشكلاته وصياغة للحلول للخروج من تبعات الاضطرابات والازمات الاقتصادية والحروب.

المصيبة اذن ان الامر لم يقتصر على الفرد العادي متوسط الثقافة او منخفضها بل تجاوزه الى النخب. اصبح المثقف مؤمنا بنظرية المؤامرة. بل وأكثر من ذلك أصبح مروجا لها. واخذ يكتب مسلما بوجود قدر سياسي تتحكم فيه اتجاهات سياسية كبرى أو منظمات أو جمعيات لا مجال لمقاومتها أو التصدي لها لشدة تعقيد عملها الذي لا سبيل الى مجابهته.

الغريب في الأمر، أن أي من المروجين لهذه النظرية، وخاصة عندما يحاول تطبيقها لتفسير مجموعة من الأحداث التي عرفتها المنطقة، خلال السنوات الاخيرة، ينسى أو يتناسى الإجابة عن سؤال في غاية الأهمية يقول، كيف يستطيع أصحاب المؤامرات، هذا في حال قبولنا بهذه النظرية– التسلل إلى البلاد العربية بنجاح، يفوق ما حققوه، باستخدام قوانين تلك النظرية، في البلدان العربية وحدها دون سائر البلدان الأخرى، بما فيهم دول نفطية أخرى؟

---

[8] أندرسون، تيم. الحرب القذرة على سوريا واشنطن تغيير النظام والمقاومة، ترجمة: ناهد تاج هاشم، مركز دمشق للأبحاث والدراسات مداد، دمشق، سوريا، طبعة أولى، 2016، ص 34

[9] صلاح مختار المؤامرة ونظرية المؤامرة وخطورة الخلط بينهما، راجع الرابط: http://nashwannews.com/articles.php?action=view&id=8956

[10] النملة، علي ابراهيم، هاجس المؤامرة في الفكر العربي بين التهوين والتهويل، مكتبة الملك فهد، الرياض، طبعة أولى، 2009،ص 33

ولو طرحنا السؤال لماذا نلحظ انتشار القبول بنظرية المؤامرة في صفوف الإنتلجنتسيا العربية، سنجد أن التركيز على نظرية المؤامرة هو خط الدفاع الأخير للضعيف الذي تقبل عجزه وأقر بعدم قدرته على تغيير وضعه الراهن. الإيمان بنظرية المؤامرة اعتراف ذاتي بالهزيمة المعنوية، وان "جاذبية نظرية المؤامرة تكمن في أنها مزيج من الحقيقة والخيال، فالبشر بطبيعتهم لا يقبلون الباطل إلا إذا كان مشوبا ببعض الحقائق.[11]

ونشير هنا الى ان نظرية المؤامرة كثيرا ما تتغذّى على الجهل، النابع من عدم فهم التاريخ. هذه الحالة هي نتيجة لأوجه القصور في الأنظمة التعليمية في تلك الدول نفسها.

نظرية المؤامرة، مؤامرة

نظرية المؤامرة مؤامرة حقيقية لأنها تتآمر على وعي الانسان السليم بتشويهه وتعطيل رده واجباره على انتظار احد ما قوة ما جهة ما لينقذه. فإما المسيح أو المهدي المنتظر او المخلص او او!، وتعطل العقل عن العمل وتحوله الى "عقل مستقيل" على حد تعبير الجابري. كما انها تآمرٌ على حرية الانسان وكرامته الانسانية ومصيره وجعل تطبيق العدالة بعيدا وحلما اسطوريا، فمن يروجها ربما لا يعلم نتائجها وابرزها استعباد الانسان وتسييره كعبد لا عقل له ولا إرادة.

وهكذا تكرس نظرية المؤامرة الفكرة بأن العصابة الفعلية تقوم باستغلال العالم وهي عصابة اوغاد الرأسمالية العالمية دون تحميلها المسؤولية كاملة عما يقع من مظالم. وتقوم هوليوود بدورها في إكمال الخطة الجهنمية وذلك بغسل ادمغة البشر وزرع افكار خيالية تسلبهم القدرة على النضال من اجل حياة حرة كريمة، ومن يتذكر الافلام والمسلسلات الامريكية حول الفضاء والخيال العلمي يدرك ما نقصده مثل فيلم (لقاء من النوع الثالث) ومسلسل (ستارترك) وما يروج مؤخرا حول (القادمون) لغزو العالم من الفضاء الخارجي!!

نظرية المؤامرة اذن ليست عملا صريحا ولا نشاطا سياسيا واضحا وانما هي عمل منظم، مخابراتي غالبا، لتسيير الانسان وسلبه حرية العمل والمبادرة بجعله يظن انه لا يستطيع التحرر من قوى جبارة تتحكم به وبمصيره وان عليه فقط ان يستسلم! تلك هي النظرية، اما مفهوم المؤامرة شيء اخر مختلف وان تشابهت الاسماء وهذا هو احد اسباب خلط مثقفين بين نظرية المؤامرة ومفهوم المؤامرة، فالمؤامرة كل عمل يوضع لتغيير حالة او لإلحاق الضرر بشخص او جماعة او دولة، وسميت مؤامرة لأنها تقوم على السرية غالبا لأجل تضليل الضحية وجعله لا يفهم ما يجري حوله لأجل ضمان تصفيته، او اذا انتبه وفهم يضلل بأكثر من طريقة لإبقائه غافلا عما يعد له. ويأتي هنا دور النخب المثقفة التي يتوجب عليها أن تخرج هي أولا من القوقعة اتي أريد لها أن تدخلها. فان هي خرجت تمكنت من اخراج مجتمع بأكمله. يتوجب على النخب الدفاع عن واقعها بالانطلاق من هذا الواقع ذاته شروطه وظروفه وملابساته، ولا يجوز رد كل شيء الى عوامل خارجية. و ان البداية العكسية من الخارج بدلا من الداخل، لا تسهم في حل الازمات والاضطرابات التي تشهدها العديد من الدول. والحل لا يكون بارجاع كل ما يحدث الى نظرية المؤامرة وانما الى مؤامرة وهذه المؤامرة ليست خارجية فحسب بل داخلية أيضا وهنا تكمن أهمية تحديد المشكلة لتسهيل حلها.

المؤامرة ونظريتها في سورية

إحدى التمظهرات الواضحة للمؤامرة على سورية كانت تسخيف أمور شديدة التعقيد وشخصنة الصراع. أرادت المؤامرة أن تقنع المواطن العادي في سورية بأن ذهاب رأس الدولة هو المطلب اساس من كل ما يحدث وأن تلك هي

[11] **العبيدلي، عبيدلي، نظرية المؤامرة، يوليو، 2015**

نهاية المصيبة وأن كل شيء بعد ذلك سيكون على ما يرام. [12] ولو انتقلنا الى الحرب السورية لوجدنا أن اللجوء الى تفسير ما حدث منذ اندلاع الاحداث حتى يومنا هذا بنظرية المؤامرة، لم يقدم شيئا على صعيد الحل. فتفسير الحرب والمذابح والاضطرابات والاحتجاجات والاضرابات وحوادث الاغتيال والقتل والتشريد والتفجيرات بعوامل خارجية وردها الى نظرية المؤامرة جعل المسألة أكثر تعقيدا. رد الحروب الى نظرية المؤامرة الخارجية هو جزء من الحقيقة التي تكتمل بالبحث في العوامل الداخلية المؤهبة للمؤامرة.

فالتعليم الفاسد مؤامرة، والمؤسسة الفاسدة داخليا مؤامرة والتربية الانغلاقية مؤامرة والمد الاسلاموي وغض الطرف عنه، مؤامرة، واقصاء النخب مؤامرة، وترك الفراغ الذهني العام دون تعبئته بما يخدم عملية النهوض بالأوطان والتقدم مؤامرة، وتفعيل الصراعات الدينية مؤامرة وعسكرة الانشطارات العقائدية مؤامرة واذكاء الطائفية والمذهبية مؤامرة.

يقول البعض أن كل هذا تلعب فيه ايد خفية لمفاقمته والأجدر أن نقول أن ضعاف النفوس وضحلي الفكر هم أول من يتلقف الفكر المؤامراتي والنشاط المؤامراتي بل ويساعد في تقويته وتعزيزه وتنفيذه والاسراع في انجاحه، والعكس بالعكس.

فما حدث في سورية منذ عام 2011 لم يكن وليد اللحظة. ولا يمكن ان ننظر للأمر أنه مبتور زمانيا عن الماضي. فالتحضير له كان يتم قبل سنوات.

هذا لايعني أن اشتعال الأحداث كان نتيجة الداخل فقط ولا ينفي وجود مؤامرة ممنهجة محبكة من الخارج، هذا أمر لا سبيل الى انكاره. فما حدث فعلا تم وفق تخطيط دقيق وعمل منظم. فلا يمكننا مثلا أن نغض النظر عن الجهد الجهيد والعمل الدؤوب الذي قامت به جمعيات ومراكز ابحاث متكاملة كان هدفها بشكل أساس العمل على صناعة الازمات والحروب. ومراكز اخرى هدفها اسقاط الأنظمة.

بناء على ما تقدم فان القبول بوجود مؤامرة مرفوض فقط عندما يتم تقديمها كمعطى ميتافيزيقي مفارق للواقع وللحراك الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والثقافي. اذا المرفوض هو إخفاء المؤامرة الحقيقية التاريخية بالتركيز على مؤامرة ميتافيزيقية مرتبطة بقوى مفارقة خفية .هذا حقيقةً ما يحدث، أي يتم تعريف المؤامرة وتحديدها بالاستناد الى قوى خفية وأصابع لا مرئية لا تاريخية مفارقة.

ثغرات تتسلل منها المؤامرة:

المؤامرة موجودة تاريخيا وغير موجودة ميتافيزيقيا. ولها كامل الحضور في الواقع الملموس . هي ظاهرة تاريخية انتجتها الظروف والوقائع وولدها الحراك السياسي والاجتماعي المتغير والمتبدل. لكن هذه المؤامرة التي نقر بوجودها ليست احادية البعد. فهي ليست صناعة الآخر والغرب الأوروبي الأمريكي الصهيوني فحسب وانما هي تلقف محلي أيضا. وهناك عوامل داخلية تشكل ثغرات تسهل على المتآمرين والمخططين الدخول بكامل السهولة.

حتى وان كانت عوامل المؤامرة الخارجية على مجموعة من الدول الشرقية العربية والاسلامية ، الا أن هناك دوما عوامل داخلية لا يمكن ان نغض عنها الطرف. تقوم هذه العوامل على أسس واضحة اهمها:

1-غياب الديمقراطية: ان الفهم الخاطئ والمشوش والمشوه للديمقراطية لدى المواطن العربي في الدول العربية كافة يسهل المهمة على القوى الغربية. فالديمقراطية كغيرها من المفاهيم التي تم استيرادها من الغرب جاهزة معلبة في قالب غربي. نشأت في ظرف تاريخي معين لتعبر عن حالة معينة وتتناسب مع خصوصية ما. تم استيرادها وجرها جرا

[12] **ديب، كمال، الحرب السورية، دار النهار، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ص 464**

قسريا دون مراعاة اختلاف ظروف النشأة وملابسات الحراك الاجتماعي والسياسي والاقتصادي الذي رافق نشوء الديمقراطيات الغربية. والنتيجة كانت ان تكونت لدينا ديمقراطية مشوشة منقوصة ونيئة. ولو سألت أي مواطن عادي ومتوسط الثقافة أو موظفا أو حامل شهادة جامعية عن الديمقراطية لما استطاع أن يعرفها الا بأنها حكم الشعب نفسه بنفسه. وهذا صحيح لكنه تعريف منقوص إذ أنه يقدم بعدا واحد من أبعاد الديمقراطية.

وأكثر من ذلك، فالديمقراطية بالنسبة للمواطن العربي موسما سياسيا أو جائحة تأتي وتزول. لأنها ببساطة مرتبطة بعملية انتخابية فقط. لذلك فالديمقراطية في الوعي العربي محصورة في صندوق الاقتراع. ولم ترتقي بعد لتبلغ مرحلة فلسفة مجتمع شاملة. الديمقراطية لن تستقيم في الوعي والواقع الا عندما تعي السلطة، ومن ثم الأفراد، أنها علاقة دولة بمجتمع. وأن النظام يوصف بانه ديمقراطي او ديكتاتوري أو غير ذلك انطلاقا من توصيف علاقة الدولة بالمجتمع فعندما تكون هذي العلاقة علاقة تكاملية فيها انفصال توافقي غير تقاتلي تكون الديمقراطية محققة بأبهى صورها، والعكس بالعكس. عندما تكون العلاقة فيها ذوبان للمجتمع في الدولة تكون الديمقراطية غائبة والديكتاتورية هي الحكم. انفصال الدولة عن المجتمع ليس هو الوحيد الذي يسم نظاما بانه ديمقراطي، ثمة انفصال آخر هو انفصال الدولة عن الدين وهذا هو فحوى العلمانية. وبالتالي فالديمقراطية رديفة العلمانية، وهذا لا يمكن أن ينفصل عن المواطنة. اذ كيف يمكن للفرد أن يمارس حقه في المشاركة في العملية السياسية وهو لا يتمتع بحق المواطنة. ؟! وكيف يمكن له أن يكون فردا في مجتمع يحدد الحقوق والحريات بحسب الانتماء الديني أو المذهبي أو العقائدي؟ لذلك وجب تحديد الانفصالين الذين يحددان جوهر العملية الديمقراطية.

الديمقراطية اذن هي رديفة المجتمع المدني وبكلمة أخرى. الديمقراطية هي علاقة الفرد بالدولة عن طريق المؤسسات الاجتماعية. المؤسسة هي التي تحدد الديمقراطية شريطة ان تكون المؤسسات الدينية محيّدة عن العملية السياسية والا لن تتحقق العلمانية. وهذا للأسف ما هو غائب في الدول العربية. وهذا تماما ما تعول عليه القوى الغربية التي تعمل على تمرير مشاريع مؤامراتية مستغلة غياب هذه العملية الهامة الا وهي الديمقراطية.

واستغلال القوى الدولية وعلى رأسها أمريكا غياب الديمقراطية انما يتم على مستويين اثنين. الأول الضغط على الحكومات المستبدة من أجل تنفيذ سياستها وتحقيق مصالحها. يتم ذلك بتبسيط شديد من خلال القول أنتم نظام حكم غير ديمقراطي ولا نستطيع منحكم مساعدات أو الدخول معكم في شركات تجارية. فيكون الرد من الحكام أطلبوا ما شئتم سنقوم به باستثناء الديمقراطية. المستوى الثاني هو تمرير ما يريده الطرف صاحب المؤامرة عن طريق الايهام بالعكس تماما. فازدواجية المعايير الغربية اضحت مسألة واضحة للجميع وعلى الرغم من ذلك فانها تستمر في هذي السياسة. فهي تنادي بالديمقراطية وتسعى لعدم تحقيقها وفق ذلك تستغل غياب الديمقراطية ليكون الثغرة الأبرز التي منها تدخل المؤامرة وتتسلل الى قلب مجتمعاتنا

2-غياب المواطنة: وهذه النقطة مرتبطة كما أشرنا بالديمقراطية. فلا مواطنة الا في ظل الديمقراطية ولا ديمقراطية الا اذا تحققت المواطنة. وغياب المواطنة هو الثغرة الأخرى التي تستغلها القوى الخارجية لإنهاك الجسد (العربي). والفتن سواء أكانت طائفية أو مذهبية أو عرقية هي الفيروس الذي ينتشر نتيجة غياب قيمة المواطنة التي تعتبر خط الدفاع الأول ضد الفتن. فالمستبد دائما يسعى لإحداث انقسام في المجتمع حتى يستطيع أن يحكم بدون رقيب أو حسيب، فيجعل أفراد المجتمع منشغلين دائما بصراعاتهم الداخلية. ومرة أخرى تبرز ازدواجية المعايير في السياسات الغربية حيال هذي القضية. الوطن هو كيان اجتماعي سياسي اقتصادي حقوقي ينتمي اليه الفرد ويحدد

انتماؤه هذا جملة الحقوق والحريات والالتزامات والواجبات المترتبة عليه من حيث كونه مواطن فقط بصرف النظر عن انتماءاته الفكرية والعقائدية والدينية والمذهبية والطائفية. [13]

ثغرة أخرى انما تتعلق بالتربية والتعليم فعلى الرغم من المحاولات الحثيثة لتحديث وتطوير المناهج التعليمية لا تزال هناك صبغة دينية ايديولوجية في البرامج الدرسية . اذ ما هو المبرر لتكن مواد دراسية كالعلوم الطبيعية والتربية الاجتماعية واللغة العربية و أن تكون مليئة بالإشارات الدينية في دولة تسعى الى العلمنة؟! المواطن الطالب والمواطن المدرس له انتماءاته المختلفة، فلماذا يتحتم عليه أن يقونن ذاته في مناهج وكأنها اعدت لتتناسب وانتماء واحد ولون واحد؟ ولماذا يقبل مجلس الشعب السوري بعد كل هذا الذي حدث السوري، ان يطرح فيه قضية الفصل بين الجنسين في المدارس؟ ان الاصلاح السياسي يبدأ بالاجتماعي وللتربية دور كبير لا بد أن يتم التعويل عليه، فالاجيال التي اعدت اعدادا خاطئا هي أول من تلقف المؤامرة الخارجية.

ثغرات المؤامرة في سورية:

تلك الثغرات موجودة في الحقيقة في غالبية الدول العربية ان لم يكن فيها كلها. لكن بما ان سورية هي مهد الحضارات جميعا وانها الدولة الوحيدة التي تضم ذاك التلون والتنوع والتعدد الهائل بين الاديان والمذاهب والطوائف، فكان لا بد من التركيز على ضرورة الغاء كل ما يشكل ثغرة لاضطراب وبلبلة. سيما أنها تنحى نحو العلمانية. واذا أردنا التخصيص اكثر في المجتمع السوري لوجدنا ان هنالك ثغرة هامة جدا هي الاختلاف بين الريف والمدينة الأمر الذي استغله اعداء سورية وحاولوا تفخيخ الاوضاع وتأليب الريف على المدن.[14]

هناك بعض المشكلات في سورية ناتجة عن الطبيعة الجغرافية والتركيبة الاجتماعية السورية. هذه التركيبة ورغم اختلافها عن العديد من دول الجوار الا انها في الوقت ذاته لم تكن جديدة تماما أو غريبة عن تركيبة أية دولة تضم تنويعات قبلية ومدينية وريفية اضافة الى الخصوصية الجغرافية. فان أية دولة يقع جزء منها على البحر تتولد فيها مباشرة تجاذبات بين مناطق الساحل ومناطق الداخل تقود الى اختلافات لكنها لا تصل كما وصفها البعض الى حد التناقض. هي اختلافات داخلية ناتجة من طبيعة الداخل المتنوع والمتداخل والمتشعب وثانيا هي ليست مشكلات غريبة عن بنية المجتمعات العربية التي تضم تلك التنويعات التي تجعل منها مزيجا من بيئتين مختلفتين او اكثر . لكن هذه البيئات موجودة بشكل تضايفي تكاملي، غير تصارعي. لذلك لا يمكن أن نعتبر ان هذا الاختلاف كان سببا جديرا بين اسباب تفجر الاوضاع في بداية اندلاع الاحداث في سورية. لكن انتفاء وجود مشكلات ذات طبيعة جغرافية لا ينفي بعض المشكلات الاقتصادية التي لعبت دورا في اشعال الاحداث وضخمت بعض الاسباب. [15] مع أن سورية على رغم تواضع ثرواتها الاقتصادية اصبحت دولة مركزية في المشرق العربي شديدة الاستقلالية في قراراتها وخياراتها وهو استقلال أصبح نادرا بين الدول في العقد الاول من القرن الحادي والعشرين وأشار اليه كبار الباحثين الأوروبيين.[16]

لكن أين هي الدولة النامية التي لا تعاني مشكلات اقتصادية؟! وهل هناك دولة في العالم لن تقع في أزمات اقتصادية؟ وهل يخلو مجتمع من البطالة أو انخفاض ما في مستوى دخل الفرد؟ وهل من الممكن أن نجد دولة واحدة فيها اكتمال لنسبة الرضى الشعبي عن سياسات الحكومة والمؤسسات؟!

[13] جمعة، حسين. الأزمة السورية وثقافة التفكير الارهابي، وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، طبعة أولى، 2015، ص 52
[14] واكيم، جمال، صراع القوى الكبرى على سوريا الأبعاد الجيوسياسية لأزمة 2011، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت ، لبنان، طبعة ثانية، 2012، ص 187
[15] واكيم، المرجع نفسه، ص 188
[16] ديب، كمال، الحرب السورية، دار النهار، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ص 464

واذا عدنا الى مسألة النطاقات الجيوسياسية المحيطة بسورية والتي كانت تؤثر فعلا وبشكل عميق في الداخل السوري لوجدنا ان العوامل اجتمعت لتؤهب لاندلاع الاحداث. ثلاث نطاقات: تركيا، العراق، ومصر. تركيا كانت تعيش حالة اعادة رسم دورها في المنطقة العربية، والعراق لا تزال تعاني نتائج الاجتياح الأمريكي ومصر كانت تئن بسبب الثورة المصرية وانهيار نظام مبارك وبالتالي فان الخلل في تلك النطاقات الجيوسياسية أدى الى اختلال التوازن الاقليمي حول سورية. هذا يمكن أن يضاف الى الصراع المخفي المعلن بين تركيا وايران على زعامة الشرق فالتنافس كان واضحا بين قوتين احداهما صاحبة نفوذ شيعي في العراق تقف خلفها روسيا الطامحة في استعادة أمجاد قديمة والاخرى صاحبة طموح سني في الشرق الأوسط تقف الولايات المتحدة الأمريكية خلفها موقف الداعم المؤيد. لذلك يرى بعض الدارسين والمحللين أنه لم يكن من المستغرب أن تندلع الأحداث في بدايتها من الجنوب السوري.[17]

لكن هناك وجهة نظر أخرى بصدد الاحداث المندلعة في درعا جنوب سورية ولابد من اخذها بعين الاعتبار. فالقول ان كل من خرج في درعا في بداية اندلاع الاحداث هو معبر حقيقي عن احتجاج محق على التردي الاقتصادي جراء سياسات اقتصادية معينة. وكذلك القول أن كيانات جيوسياسية محيطة بسورية تعرضت لاضطرابات فانعكس هذا الاضطراب على الداخل السوري. هذان قولان لا يمكن القبول بهما تماما عندما نتعرض لآراء أخرى درست وعاينت التظاهرات المبكرة و اعمال العنف المرافقة لها في البدايات.

يقول الأب فرانس فان دير لوت في حمص "إن مسلحين تسللوا الى المظاهرات التي خرجت في البداية للمطالبة بالإصلاح السياسي. أطلقوا النار على كل من الشرطة والمدنيين وأكدوا أن هذا العنف قد جاء من الاسلامويين المتطرفين الطائفيين. [18]

في درعا مع بداية الاحداث كان الهدف المعلن وبوضوح هو اسقاط النظام العلماني أو النظام العلوي الكافر هذا ما أوضحته الشعارات الطائفية التي استخدمتها الجماعات الارهابية.

وكان خط المواجهة الأمامي من المتعاونين مع الولايات المتحدة كان يضم السعودية وقطر وتركيا. وفي 28 مارس 2011 أصدر رياض شقفة المراقب العام لجماعة الاخوان المسلمين أصدر بيانا كان الهدف الطائفي فيه واضحا لا يدع مجالا للشك.

قال فيه: عدونا هو النظام العلماني وعلى اعضاء جماعة الاخوان المسلمين أن يتأكدوا من أن الثورة سوف تكون اسلامية خالصة حتى لا يكون هناك طائفة اخرى لها نصيب من الفضل بعد نجاحها والغريب كان الانضمام السريع للمجموعات السلفية والاسلاموية الاجنبية الاخرى بسرعة لهذه الثورة السورية. ليس هذا فحسب بل الاستماتة في الدفاع والقتال الشرس.

وهنا يبرز لدينا تناقض صارخ بين ذرائع البدايات للتدخل وبين الشعارات والبيانات المعلنة، فكيف من الممكن أن يقتنع عاقل بمجموعات تتذرع بانها آتية لتحقق نظاما ديمقراطيا ليبراليا وتحرير البلاد من الديكتاتورية. حسنا كيف ينادي هؤلاء بنظام ديمقراطي وهم في الوقت نفسه ينادون ويجهرون بعداءهم للعلمانية؟! وهل هناك ديمقراطية الا في ظل العلمانية وهل تنمو العلمانية الا في تربة ديمقراطية؟

هذه الثغرات وغيرها ربما تقدم اجابة وافية عن السؤال: اذا كان هناك مؤامرة ومتآمرون فكيف تمكنوا اذن من التسلل الى المجتمعات العربية والى الشرق بوجه عام؟ ليس هذا فقط بل تقدم البعد الثاني من المؤامرة وهو البعد

[17] واكيم، جمال، صراع القوى الكبرى على سوريا الأبعاد الجيوسياسية لأزمة 2011، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت ، لبنان، طبعة ثانية، 2012، ص 180

[18] واكيم، المرجع نفسه، ص 189

الداخلي. وتسلط الضوء على مكامن الضعف الداخلي في المجتمع السوري كأحد المجتمعات العربية التي تعوزها العديد من الأمور التي من شأنها ان تحقق استقراره ونموه وتمنع تأثير أية متآمرين.[19]

وهنا أجد من المناسب وصف المؤامرة بالمؤامرة ثنائية البعد. فلا مؤامرة داخلية فقط ولا مؤامرة خارجية فقط. لا يمكن أن نعزو الاضطرابات والحروب والازمات كاملة الى أسباب خارجية فهناك عوامل داخلية ادت الى تلقف الاذكاء الخارجي لنار الافتراقات والخلافات والانقسامات التي مزقت الاوطان وعمقت الازمات الى الحد الذي بدا معه الحل غير واضح المعالم ومشوش الخطة.

مسألة اضافية لا بد من طرحها وهي أن اضافة التسمية نظرية للمؤامرة هو مؤامرة بحد ذاته. أكبر نجاح تحققه أي مؤامرة أن يتمكن المتآمر من تمرير تسميتها "نظرية" فبذلك لا يقع الناس ضحايا للمؤامرة فحسب، بل يسقطون وهم يدافعون عن المتآمر ويبرئونه.

النظرية تعني العلم والعلم فرع من فروع المعرفة العلمية له موضوع وله منهج وله اهداف وطرائق من المفترض أن توصل الى الأهداف. وهذا عندما يضاف الى المؤامرة يعطيها أكبر من حجمها بهدف التضليل أولا والتخويف ثانيا والتهويل ثالثا والتعطيل رابعا. المؤامرة ينبغي أن تؤخذ كظاهرة تاريخية ناتجة عن التقدم التاريخي ومن قلب التاريخ لم تهبط من عل، لها أسبابها وعواملها وشروطها ولها علاج وحلول.

صلاح المختار عند حديثه عن تفشي نظرية المؤامرة في البلاد العربية وسيطرتها على أذهان النخب في هذه البلدان، حين يعتبر نظرية المؤامرة هذه هي المؤامرة الحقيقية لأنها تتآمر على وعي الانسان السليم بتشويهه وتعطيل رده! انها أشبه بالمخدر الذي يقوم بتنويم الفرد وتعطيل قدراته على المبادرة لأنه قد قدم له مسبقا السبب في تخلفه ، وهذا السبب قابع خارجه فكيف يغيره؟؟! كما انها تتآمر على حرية الانسان وكرامته الانسانية ومصيره وجعل تطبيق العدالة بعيدا وحلما اسطوريا. وهي مؤامرة لأنها تتآمر على انسانية الانسان وتكرس استعباده وتسييره كعبد لا عقل له ولا ارادة[20].

ويقتضي مفهوم المؤامرة أن يحاط الموضوع المراد تنفيذه بالسرية التامة. و ترتبط المؤامرة أيضا بعدم القدرة على تفسير الحدث بعد حدوثه، أو عدم ظهور معنى مقبول له، ولهذا فان المفهوم لا يتماشى مع النمط المؤسسي العام والمتداول، ويعزز فكرة وجود بقع عمياء blind spots في تفسير الأحداث غير القابلة للتفسير.

البعد الخارجي لمؤامرة:

لا يمكننا انكار حقيقة ان هناك بعدا خارجيا للمؤامرة بحيث لا سبيل لتجاهل وانكار وجود مؤسسات تضع نصب أعينها تدمير الأنظمة واسقاط سيادة الدول وتدمير الحكومات الوطنية ظاهرة مرتبطة بجذور المؤامرة. فالمخطط الذي قامت عليه خطة وايزهاوبت الشهيرة ونفذته سياسات حكماء صهيون، يقوم على خلق معسكرات متصارعة متقاتلة وتسليح هذه المعسكرات بعد خلقها ثم تأتي الخطوة الهامة جدا والتي هي تدبير حوادث تؤدي الى تحريض وتأليب تلك المعسكرات على بعضها البعض فيدب فيها الضعف محطمة الحكومات الوطنية والمؤسسات الدينية.

---

[19] العبيدلي، عبيدلي، نظرية المؤامرة: العدد 9580 الخميس 2 يوليو 2015: راجع الرابط: www.alayam.com/Article/courts-article/39964

[20] صلاح مختار المؤامرة ونظرية المؤامرة وخطورة الخلط بينهما، راجع الرابط: http://nashwannews.com/articles.php?action=view&id=8956

هذا يتم وفق خطوات تراتبية زمنيا وفق التالي:

- الغاء الحكومات الوطنية كلها
- الغاء مبدا الارث
- الغاء الملكية الخاصة
- الغاء الشعور الوطني
- القضاء على مفهوم العائلة وتدمير كل مكوناته ومقوماته والغاء فكرة أن تكون الحياة العائلية، الخلية التي تبنى حولها الحضارات.
- الغاء وتدمير الاديان الموجودة تمهيدا لمحاولة احلال العقيدة الشيطانية ذات الطابع المطلق في الحكم وفرضها على البشرية جمعاء.[21]

مؤامرة في سورية

ان كان ما حدث في العالم العربي عموما وفي سورية على وجه التحديد ثورات أم لا، أمر لا يمكن أن نسلم به بساطة. فمفهوم الثورة بحد ذاته مفهوم اشكالي . فلا يمكننا بسهولة أن ندعي أن ما حدث يوصف بالانتفاضات الشعبية المحلية. لا شك أن البعض ممن خرجوا في البداية كانت لديهم مطالب محقة تتعلق بشؤون مهنية ووظيفية ومعيشية، لكن سرعان ما أثبتت الأحداث أن الأمر أكثر تعقيدا وأشد تشابكا مما اعتقد البعض. [22]فحتى أصحاب المطالب المحقة كانوا أولا قليلي العدد اذا ما قورنوا بآخرين خرجوا بتوجيه وأمر من جماعات ضغطت عليهم تارة وأغرتهم بالمال تارة أخرى لأحداث البلبلة والاضطرابات والقلاقل. ثانيا أصحاب المطالب المحقة كانوا مخدوعين من قبل المجموعات أصحاب المصلحة في احداث الشغب والعصيان المدني. خدعتهم كانت برسم شعارات براقة لهم كالحرية والتحرر والانعتاق والفوضى الخلاقة والربيع العربي وغير ذلك من التسميات التي سبقت ورافقت الاحداث المندلعة.

إن تسمية الربيع العربي والفوضى الخلاقة والثورة وغيرها من المفاهيم التي أفرزتها الأحداث الأخيرة، ماهي الا مفاهيم ضبابية مشوشة. وينبغي أن نكون ليس فقط ضد صياغتها وانما أيضا ضد استخدامها لعدم الترويج لها وتثبيتها في اللاشعور الجمعي. الا انني أجد أنه من الضروري واللازم إيضاح هذا المفهوم المشوه وذلك عن طريق كشف ممارسات واجراءات الاتجاهات التي عملت بمنهجية كبرى على صناعته والترويج له. يضاف الى ذلك نشاط مراكز الابحاث الغربية في تثبيت تلك المفاهيم وتقويتها.

فمركز الاسلام والديمقراطية مثلا في واشنطن والذي تشرف عليه الخارجية الأمريكية بشكل مباشر، يهتم هذا المركز تحديدا بالتعامل مع الاسلام السياسي واستخدامه. وبالأخص الاخوان المسلمين.

مراكز الابحاث الأمريكية الثينك تانك think tanc

مجموعة الأزمات الدولية ICG

هيومن رايتس ووتش HRW

مؤسسة موفمنتس movements

مؤسسة افاز Avaazالتي ترتبط مع مؤسسات جورج سوروس وتتلقى منها الدعم والتمويل.[23]

[21] كاي غار، وليم، أحجار على رقعة الشطرنج، مكتبة النوري، دمشق، سوريا، طبعة رابعة، 2011، ص 45
[22] كليب، سامي. الأسد بين الرحيل والتدمير الممنهج، دار الفارابي، بيروت ، لبنان، طبعة خامسة، 2016، ص 25
[23] أبو عبد الله، بسام. الحرب القذرة على سوريا، وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، طبعة أولى، 2015، ص 32

هذه المؤسسات مرتبطة بشبكات وتابعة لها معاهد متعددة وربما لا يمكن للمواطن العربي العادي المنغمس في حياته اليومية أن يتصور أن كل هذي المؤسسات والجمعيات والتنظيمات هدفها هو إسقاط الأنظمة العربية والتحريض على الانتفاضات واعمال الشغب وصناعة الأزمات.

المؤامرة ومشروع الشرق الاوسط الكبير او الجديد

لو عدنا قليلا الى الوراء، لوجدنا أن جذور المؤامرة ضاربة في عمق الفكر الأمريكي الاوروبي الاسرائيلي. ولهذا ارتباط لكن لا بد من التطرق الى المشروع الأمريكي الكبير وهو مشروع الشرق الوسط الكبير. الذي اتضح وتبلورت معالمه في عهد جورج بوش الابن وبشرت به كونداليزا رايس.

يعتمد هذا المشروع على ضمان الهيمنة على الدول مع المحافظة على الحدود التقليدية على أن تكون هذه الدول ضعيفة وتابعة. كما أن المشروع يعتمد على الحلفاء ممثلا بتركيا والسعودية وقطر كما تجلى ذلك في الحرب على سورية، حيث تم تسخير امكانات هذه الدول من اجل محاربة سورية لكن دون تدخل أمريكي مباشر. وهنا مكمن القوة الناعمة. التغيير عن بعد باستخدام قوى داخلية واستخدام الحلفاء كوكلاء عنهم في هذي الحروب.

يمكن القول ان الحرب على سورية شكلت الأساس في الاستراتيجية الأمريكية في الشرق الأوسط فإسقاط سورية بالنسبة للولايات المتحدة أولوية وضرورة لعدة اسباب. على رأسها ان الولايات المتحدة الأمريكية غير قادرة على تحقيق مشروع الشرق الأوسط الكبير الا اذا قضت على الدولة ذات التوجه القومي المتمسكة بالوطنية والممانعة للسياسات الغربية والأمريكية.[24]

كانت أهدافه ببساطة: عزل أوروبا عن افريقيا ومنع أي شكل من أشكال التقارب بين اوروبا وروسيا. منع روسيا من الوصول الى الخليج العربي والمحيط الهندي ومنع الصين من بلوغ افريقيا. وكان هذا ليترافق مع اعادة رسم الجغرافيا السياسية للمنطقة اذ قام المخطط الأمريكي للشرق الاوسط الجديد على تقسيم المنطقة كيانات طائفية تشكل مجالا حيويا لإسرائيل: تقسيم العراق الى دويلات كردية وسنية وشيعية وتقسيم سورية ولبنان دويلات علوية فمسيحية فدرزية بعد تهجير السنة والشيعة عن مناطق الساحل، السنة الى الداخل السوري، والاخرون الى جنوب العراق واقامة دولتين سنيتين في دمشق وحلب على ان تكون الدولة الدرزية الممتدة من الشوف غربا الى حاصبيا فالجولان وجبل الدروز شرقا، هي العازل بين اسرائيل وهذين الكيانين السنيين.[25]

تعلم الولايات المتحدة الأمريكية ومن خلفها الحلفاء أن سورية لا يمكن ان تسقط الا اذا تم تغيير تركيبتها الثقافية الفكرية الاجتماعية. وذلك انما يكون عبر اضعاف ممانعتها للسياسات الغربية. وتقوية جميع الاتجاهات التي تخدم هذا الغرض. لذا تم التحالف مع الدين السياسي الذي أبعد خطره الفكر القومي لسنوات طويلة. [26] ثم جاءت الخطوة التالية التي تمثلت في استخدام الدين السياسي لمحاربة الفكر القومي. وتم تمكين جماعة الاخوان المسلمين والوهابية لاختراق المجتمع السوري بشرائحه المختلفة. ليس هذا فقط بل تم دعم الجماعات التكفيرية والقاعدة ولاحقا مع حماس وتزويدها بالسلاح والدعم اللوجستي وتقديم الوعود للإخوان بأن يتسلموا مقاليد الأمور بعد سقوط الدولة السورية .[27]

[24] أبو عبد الله، بسام. الحرب القذرة على سوريا، وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، طبعة أولى، 2015، ص 35

[25] واكيم، جمال، صراع القوى الكبرى على سوريا الأبعاد الجيوسياسية لأزمة 2011، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت ، لبنان، طبعة ثانية، 2012، ص 186

[26] سيل، باتريك. الصراع على سوريا دراسة للسياسة العربية بعد الحرب 1945-1958، دار طلاس، دمشق، سوريا، طبعة ثامنة، 2010، ص 42

[27] أبو عبد الله، بسام، الحرب القذرة على سوريا، وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، طبعة أولى، 2015، ص 44

تم تعزيز كل الايديولوجيات التي من شأنها ان تضعف الروح القومية والحس الوطني وتعزز الانشقاقات والافتراقات والخلافات وتمعن في تجزئة سورية. ولعل أبرز هذي الإيديولوجيات كانت الايديولوجيا الانفصالية. فأصبح الانفصال هو سمة الأديان والمذاهب والطوائف والعشائر والقوميات. أقوى تجسيد للأيديولوجيا الانفصالية التي أراد أعداء سورية تعميقها وتكريسها ، كان مع محاولة الأكراد الانفصال وتأسيس دولة كردية. وذلك عن طريق طرح مشروع الفيدرالية السورية والدولة الكردية. ان مفهوم الدولة ضمن الدولة لهو من اخطر المشاريع التي يمكن ان تطرح أثناء الحروب بالذات بالتحديد. والمفارقة الجديرة بالذكر هنا هي أن الحروب أكثر الأوقات التي ينبغي أن تتعمق فيها الوحدة للتغلب على التحديات والتهديدات والأخطار الخارجية، لكن ما يحدث أن مشاريع الانفصال تشتد قوة أثناء الحروب. ففي الحروب دوما يتم طرح هكذا مشاريع تقسيمية لان الظروف تكون مؤهّبة للخامد من المشاريع أن ينفجر. مع أن أية مشاريع ينبغي أن تؤجل لأن الحرب ليست هي الظرف والزمن المناسب للمشاريع التقسيمية الانفصالية وانما المطلوب انما يكون المزيد من الوحدة والمزيد من القوة وليس التشرذم والتجزئة.

مفهوم الفيدرالية والدولة الكردية طرح بالتزامن أو كنتيجة لمفهوم سورية المفيدة القائم على تجزئة سورية الى ثلاث دويلات أو دول (كما يوضح المصور): دولة السنة في الوسط والدولة الكردية في الشمال حتى الحدود الكردية ودولة سورية المفيدة التي من المفترض أن تضم العلويين وتمتد في دمشق وحمص وحماه على طول الساحل السوري.

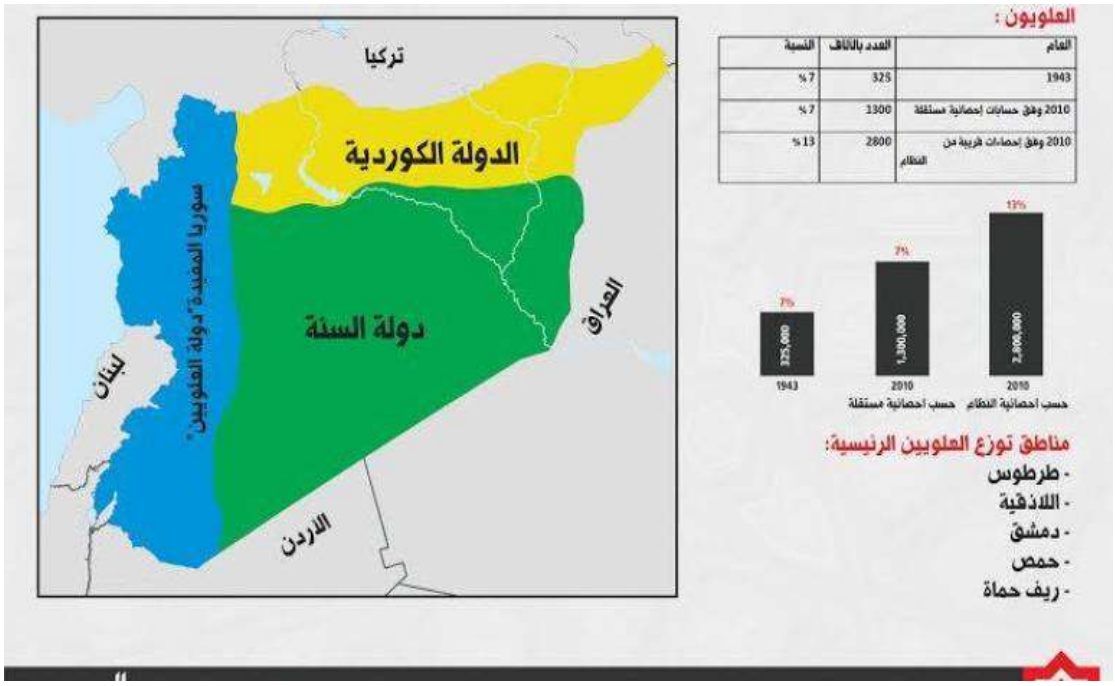

المشروع الذي بشرت به كونداليزا رايس وهو الشرق الاوسط الكبير، لا يمكن أن يتم الا من خلال اضعاف سورية وهذا انما يكون بتقسيمها. تجزئة سورية الى كيانات متقاتلة متصارعة متحاربة سيجعل منها بالتالي كيانا ضعيفا فقد أية روح قومية او وطنية. بل وسيفقد أية قواسم مشتركة بين مكتنفاته وأية عوامل قوة تجمع أبناءه. وهذا هو المطلوب.

مشروع سورية الفيدرالية المفترضة وما نتج عنه من اقتراح ايجاد عدة دويلات ما هو الا إمعان في التقسيم والشرذمة وما هو بالتالي الا اعادة انتاج سايكس بيكو القديمة. هذه الاتفاقية التي مر عليها مئة عام أريد لها اليوم أن

تعود بطابع جديد نظرا لتغير الظروف وتغير الاقطاب التي تتحكم بالعالم. لكن هذه المرة جاء بأسماء طنانة رنانة وشعارات براقة مغرية للمواطن العربي. التسمية فيدرالية المستمدة من المصطلح الانكليزي federalism تعتبر بالنسبة للفرد العربي مغرية جدا وجذابة اذ انها ترسم له الأحلام بالوصول الى مستوى الدول الغربية التي يعيش عادة حالة الانبهار الشديد بها والانشداد لها.

فالفيدرالية السورية تقوم اذن على التأسيس لكانتونات طائفية ومذهبية وعشائرية وقومية. الغاية من كل هذا هو الاضعاف لسهولة السيطرة وسهولة التخلص من الروح القومية الكلية ومن ثقافة الممانعة. وبالتالي المضي قدما في مشروع الشرق الوسط الكبير.[28] وهذا في الحقيقة ما يقودنا للحديث عن جذور مؤامرة التقسيم.

المؤامرة والجوييم ومشاريع التقسيم:

يعتقد بعض الدارسين والمختصين أن قضية التقسيم قضية حديثة العهد. وأنها برزت مؤخرا مع أحداث الربيع العربي وبزوغ شعارات الفوضى الخلاقة وغيرها من مصطلحات ظهرت على السطح في العقدين الأخيرين. تعتقد طائفة أخرى من المفكرين السياسيين أن التقسيم قضية عمرها مئة عام. فاتفاقية سايكس بيكو التي جزأت المنطقة الى دول ليست وليدة اليوم وانما عمرها قرن من الزمان وهاهي ينتهي مفعولها اليوم فلابد من البحث عن بديل لها يملأ الفراغ السياسي النظري ويضع خطة تقسيمية مناسبة ولأجل هذا السبب ظهرت الى السطح قضية الفيدرالية السورية والدولة الكردية وسورية المفيدة وغير ذلك من المصطلحات كإحدى تمظهرات الحاجة الماسة للبديل الذي يقدم حلا جيدا للأطماع المعروفة في الجغرافيا المشرقية. بما يخدم طبعا مشروع الشرق الأوسط الكبير أو الشرق الأوسط الجديد. وقد أصاب الاتجاهان ولم يخطآ نسبيا الا أن قضية التقسيم قديمة قدم البروتوكولات الصهيونية ذاتها. وعمرها ثلاثة قرون منذ بدأت خطة احياء البروتوكولات الصهيونية القديمة والاعداد لتمكين كنيس الشيطان من العالم. وهذا لا يمكن أن يتم الا بإضعاف عناصر الجوييم.

والجوييم هو مصطلح يستخدم للدلالة على القطعان البشرية، يطلقه اليهود على البشر من الأديان الأخرى وهذا الجوييم مصيره التقسيم. [29] وهذا هو الجزء الجوهري من خطة آدم وايزهاوبت الشهيرة. التقسيم انما يكون حسب ما تقتضيه هذي الخطة بان يتحول الجوييم الى معسكرات متنابذة متصارعة الى الأبد. وهذه الصراعات تحدث حول مجموعة من القضايا السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعنصرية والمذهبية والطائفية والعنصرية والعرقية وغيرها.

لايمكن الوصول الى اوراسيا والسيطرة عليها بوصفها قلب العالم ومنبع الموارد وضمانة الاقتصاد العالمي ومركز رقعة الشطرنج الا بالسيطرة على سورية واضعافها الى الحد الذي غدت فيه سورية هي المركز الحقيقي لرقعة "الشطرنج الكبرى" التي تحدث عنها بريجنسكي.

الاستنتاجات والتوصيات

- لا يمكن الحديث عن "مؤامرة" الا بإقصاء البعد الميتافيزيقي للمفهوم والتركيز على الحراك الاجتماعي السياسي الاقتصادي الذي أنشأ المؤامرة وطورها وبلورها.
- نظرية المؤامرة ابتدعت لتشوش المؤامرة فكانت بحد ذاتها مؤامرة على العقل والعمل والخلق والابداع العربي

[28] واكيم، جمال، صراع القوى الكبرى على سوريا الأبعاد الجيوسياسية لأزمة 2011، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت ، لبنان، طبعة ثانية، 2012، ص 186

[29] كاي غار، وليم، أحجار على رقعة الشطرنج، مكتبة النوري، دمشق، سوريا، طبعة رابعة، 2011، ص 33

المؤامرة لعبت لا شك دورا كبيرا في الحرب على سورية لكن لا يمكن أن تفهم الحرب بردها الى مؤامرة خارجية فالمؤامرة الداخلية لا تقل أهمية عن الأدوار الاخرى التي مارسها الغرب الأوروبي والأمريكي وهذا ما يجب التنبه له.

- ربط الحروب الحالية بالعولمة أمر بعيد عن الصحة، فالعولمة ولت كنظام عالمي جديد تم التخطيط له والتبشير به مع انهيار الاتحاد السوفياتي ولا سبيل للكلام عن عولمة مستمرة حتى يومنا.[30]
- التحدي الأكبر أمام العالم كله اليوم هو ايجاد صيغة جديدة لنظام جديد يتخطى اشكال الانظمة السابقة كلها. والاخفاق في هذا التحدي قد لا تكون نتيجته الحروب وانما اعادة توزيع لمناطق النفوذ ونوع من التطور الى مناطق نفوذ متماهية مع بنى وصيغ حكم داخلية خاصة.[31]
- الحرب على سورية كانت الثمن التي دفعها بلد مقاوم يرفض أن يكون أداة طيعة بيد المتآمرين. ولقد أخطأ الغرب عندما اعتقد أن ما حدث في بلاد عربية أخرى يمكن أن يكون قابلا للتكرار في سورية. [32] سورية أو بلاد الشام منذ فجر التاريخ منطقة تجاذب بين ثلاثة نطاقات جيوسياسية هامة وهي بلاد مابين النهرين أو ميسوبوتاميا كما كانت تدعى، وبلاد الأناضول أو تركيا ومصر. وكان الصراع بين هذي النطاقات يدور دوما حول سورية فمن يتمكن من السيطرة على سورية يمكنه أن يتمتع بالمركز الأقوى والقيمة الجيوسياسية الحيوية الأبرز بين القوى الأخرى جميعا. ليس هذا فقط بل ان من يتمكن من السيطرة على بلاد الشام يمكنه أن يبسط سيطرته على النطاقين الجيوسياسيين الآخرين.[33] ومنذ فجر التاريخ كذلك يدور الصراع حول بلاد الشام والهدف الاول هو تقسيمها بين مناطق نفوذ. فعندما تصارع الاكاديون والمصريون على بلاد الشام سيطر الاكاديون على شمالها، والمصريون على جنوبها. وبعد ذلك نشب نزاع حاد بين المصريين والحثيين والحوريين. فكان الجنوب من نصيب المصريين والشمال للحثيين في حين الشرق للحوريين. ومنذ ذلك الحين لم تعرف بلاد الشام أو سورية الا التقسيم. ومنذ ذلك اليوم وهي مقتسمة بين قوى ومقسّمة الى مناطق نفوذ. ولم تتوحد الا حين كانت القوى الثلاثة او على الأقل قوتين تقعان تحت سيطرة قوة أكبر جامعة لهما. هذا ماحدث أيام الرومان والبيزنطيين والأمويين والعباسيين . اما اذا كانت النطاقات الثلاث واقعة تحت سيطرة قوى مختلفة فالتقسيم هو النصيب والقدر المحتوم. وهذا كان قدر بلاد الشام في القرن العاشر والحادي عشر والثاني عشر. لذلك عندما نراجع تاريخ بلاد الشام بالتوازي مع تاريخ المؤامرة الحقيقية نجد أن "الجوييم" يراد له دوماً أن يقسّم. فالأمر لا يتوقف على مشاريع التقسيم الحالية اليوم، ولا حتى بالعودة الى سايكس بيكو قبل مئة سنة. بل الامر يعود الى قرون بعيدة كما رأينا.

لسورية تاريخ عريق يعود الى الاف السنين فيها ولدت حضارات وامبراطوريات وديانات، وان ما حدث منذ القدم وحتى الان انما هو الثمن الذي تدفعه سورية لقاء تمسكها بالمدنية واصرارها على الغاء التطرف الاثني والديني والمذهبي والطائفي. يخطئ كل من يعتقد أن أسلمة ومذهبة الصراعات صفة لازمة عن السوريين ، هي صفة مضافة وعرض طارئٌ لأن الجوهر الاساسي السوري هو الاخاء والتعاون والعيش الواحد لا المشترك فحسب. فمن يتمسك

[30] هيرالد شومان و كريستيانه غريفه. العد العكسي للعولمة عدالة ام تدمير الذات، ترجمة: د. محمد الزايد، وزارة الثقافة، دمشق، طبعة أولى، 2011، ص 33

[31] كسنجر، هنري، النظام العالمي تأملات حول طلائع الأمم ومسار التاريخ، ترجمة: فاضل جتكر، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، طبعة أولى، 2015 ص 360

[32] بيشون، فريدريك. المحنة السورية لماذا اخطأ الغرب، ترجمة: عدنان عزام، وزارة الثقافة الهيئة العامة للكتاب، دمشق، سوريا، طبعة أولى، 2015، ص 14

[33] واكيم جمال، صراع القوى الكبرى على سوريا الأبعاد الجيوسياسية لأزمة 2011، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت ،لبنان، طبعة ثانية،2008 ، ص 186

بالمدنية وينفي كل اشكال الانشطارات والانقسامات سيربح الرهان في النهاية ولابد من عودته الى الحرية والسلام. انها سورية التي وصفها خبراء الغرب والشرق بأنها دولة الاستقلال والسيادة الفريدة في القرن الحادي والعشرين.

المصادر والمراجع:

1 أبو عبد الله، بسام. الحرب القذرة على سورية، وزارة الثقافة، دمشق، سورية، طبعة أولى، 2015

2 الأشعل، عبدالله. الأبعاد القانونية للمؤامرة على سورية، دار الفكر، دمشق، سورية، طبعة أولى، 2010

3 أندرسون، تيم. الحرب القذرة على سورية واشنطن تغيير النظام والمقاومة، ترجمة: ناهد تاج هاشم، مركز دمشق للأبحاث والدراسات مداد، دمشق، سورية، طبعة أولى، 2016

4 بيشون، فريدريك. المحنة السورية لماذا اخطأ الغرب، ترجمة: عدنان عزام، وزارة الثقافة الهيئة العامة للكتاب، دمشق، سورية، طبعة أولى، 2015

5 تود، ايمانويل. مابعد الامبراطوية، دار الساقي، بيروت، لبنان، طبعة أولى، 2003

6 جمعة، حسين. الأزمة السورية وثقافة التفكير الارهابي، وزارة الثقافة، دمشق، سورية، طبعة أولى، 2015

7 حبيب، كمال. تاريخ سورية المعاصر من الانتداب الفرنسي وحتى صيف 2011، دار النهار، بيروت، لبنان، طبعة أولى، 2011

8 حبيب، كمال. الحرب السورية، دار النهار، بيروت، لبنان، طبعة أولى، 2015

9 حنيل، باتريك. الصراع على سورية دراسة للسياسة العربية بعد الحرب 1945-1958، دار طلاس، دمشق، سورية، طبعة ثامنة،2010

10-صقور، مالك. الأبعاد الثقافية للحرب على سورية، وزارة الثقافة، دمشق، طبعة اولى، 2015

11-كليب، سامي. الأسد بين الرحيل والتدمير الممنهج، دار الفارابي، بيروت ، لبنان، طبعة خامسة، 2016

12 كيسنجر، هنري. النظام العالمي تأملات حول طلائع الأمم ومسار التاريخ، ترجمة: فاضل جتكر، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، طبعة أولى، 2015

11 نويهض، عجاج. بروتوكولات حكماء صهيون، مجلد أول و مجلد ثاني، دار طلاس، دمشق، سورية، طبعة تاسعة، 2005

12 هيرالد شومان و كريستيانه غريفه. العد العكسي للعولمة عدالة ام تدمير الذات، ترجمة: د. محمد الزايد، وزارة الثقافة، دمشق، طبعة أولى، 2011

13 واكيم، جمال، صراع القوى الكبرى على سورية الأبعاد الجيوسياسية لأزمة 2011، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت ، لبنان، طبعة ثانية، 2012

14 وليام غاي كار. أحجار على رقعة الشطرنج، مكتبة النوري، دمشق، سورية، طبعة رابعة، 2011

15 وليام غاي كار. الضباب الأحمر فوق أميركا، ترجمة: لميس يحيى، الاهلية للنشر، عمان، الأردن، طبعة اولى، 2013

مقالات من صفحات الانترنت:

1. صلاح مختار، المؤامرة ونظرية المؤامرة وخطورة الخلط بينهما، راجع الرابط:
/nashwannews.com/articles.php?action=view&id=8956

2. العبيدلي عبيدلي، نظرية المؤامرة: العدد 9580 الخميس 2 يوليو 2015: راجع الرابط:
www.alayam.com/Article/courts-article/39964

3. عباس، بشار، تأمل في نظرية المؤامرة، راجع الرابط:
www.maaber.org/issue_december15/spotlights2.